أسرار الحرب العراقية الايرانية التي لا تذكرها البيانات الرسمية

بقلم - بشير البرغوثي

من يوم جديد من ايام منطقة الخليج ، يزداد الاستراتيجية الاستراتيجية على توازن القوى في الوسط ،وعلى وحدة العربي ضد اتفاقيات الامبريالية .

النتائج المدمرة العراقية على العراقيين الا ان هذه مواضعة بالقياس الى محمل الوضع العربي

الامبريالية لتدخل طائراتها منطقة الخليج . الخليجية لها قرب قريبة لاستقبال والاساطيل معززة الامبريالي في المنطقة استراتيجيا يلحق حركة التحرر العربية الانظار متجهة الى العربي في عمان من وتونس بغداد وتونس الواحات الحلول ان هذا المؤتمر في واصبحت وحدة العمل الى عليها مؤتمرا بعد قطع العلاقات الدبلوماسية مع سوريا وليبيا خارج نطاق الممكن .

وهكذا ودون اغفال الثمن الفادح الذى دفعه ويدفعه البلدان المتحاربان فان مكاسب العراق غير المضمونة لم تتجاوز مساحة محدودة من الارض الصحراوية . ومهما اضفت اجهزة الاعلام العراقيةوالاردنية من اوصاف على تلك الارض فانها ينبغي ان توضع في الميزان القومي والثورى مقابل تعزيز الوجود العسكرى الاميركي في منطقة الخليج ، وانقسام الجبهة العربية المعادية لاتفاقيات كامب ديفيد وهدر الطاقات العربية ، وصرف انتباه الرأى العام العالمي عن القضية الرئيسية ، اى القضية الفلسطينية ، وخلق المناخ الملائم لتآمر القوى المعادية للثورة الايرانية ومحاولة عزل سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية .

نتيجة هذه الموازنة واضحة ، والخسارة الناجمة عن هذه الحرب بالميزانالقومي والثورى اضخم بكثير من ان تعوضها مئات الكيلومترات المربعة وغير المضمونة في صحراء عبدان .

ولو كان هذا الميزان هو الذى يستخدمه القابضون على زمام الأمور في بغداد لما دفعوا بالجيش العراقي الى هذه الحرب .

وايضا لايمكن استبعاد مسؤولية حكام ايران عن تقديم بعض الذرائع والمبررات للهجوم العراقي .

ودوافع تلك السياسات ، فان نتائجها تشير الى ان عدم اخذ مصالح مجموع الحركة الثورية عند تقرير وتنفيذ سياسة ما يعني في نهاية المطاف وبغض النظر عن النوايا ، توفير المناخ المناسب للتدخل الامبريالي .

وهذا ما نشهده الان في منطقة الخليج . وما ينبغي ان يستحث جميع ذوى المصلحة في افساد ذلك المناخ على العمل من اجل وقف القتال .

ان القضية المركزية ليست في تقرير ملكية الارض المتنازع عليها بقوة السلاح . ولكنها في صد الهجمةالامبريالية ضد الثورة الايرانية وحركة التحرر العربية بمجموعها .

واستمرار الحرب لا يخدم هذه القضية ،بل يخدم نقيضها . وحتى اذا كان هدف الطرفين المتنازعين تقرير من منهما سيكون صاحب الكلمة العليا في منطقة الخليج . فان احدا منهما لن يحقق هذا الهدف لان الطرف الامبريالي استطاع من خلال اقتتالهما ، ان يسبقهما اليه !

وليس هذا هو كل هدف الامبريالية ،فوجودها العسكرى في منطقة الخليج واحتمالات تدخلها ضد الثورة الايرانية ليس الا جانبا من جوانب خطتها العامة . وهي لم تتخل عن اهداف اتفاقية كامب ديفيد . بل انها ترى فيما يجرى الان فرصة كبيرة لتحقيق تلك الاهداف . ووجودها العسكرى في منطقة الخليج جعلها في وضع يمكنها من تطمين حكام تلك المنطقة على مراكزهم في حالة ارتدادهم العلني عن مقررات مؤتمر بغداد . والى الشمال من هذه الدول والدويلات تجرى عملية مكملة .ولتسمح لنا اجهزة الاعلام الاردنية في مخالفتها عندما تصف " فزعتها " للعراق بانها " قومية " ومنزهة عن أى غرض .

فالمعروف ان محور بغداد عمان الرياض يتبنى موقفا مغايرا لموقف جبهة الصمود والتصدى . وهو لم ينشأ اصلا الا لانه يختلف مع الجبهة وقد عززت الحرب الحالية العلاقات بين اطراف ذلك المحور . وتحاول اجهزة الدعاية التابعة له اضفاء صفة المدافع عن الكرامة القومية عليه ، والتشكيك في الولاء القومي لاطراف جبهة الصمود .

وقد نشأ من جراء ذلك وضع خطير جعل سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية في جبهة وباقي دول المشرق العربي وغالبية مغربه في جبهة اخرى . وبات الفرز بين من يعارض تاكتيكيا اتفاقيات كامب ديفيد ومن يعارضها ستراتيجيا واضحا ومحددا ولا مجاملة فيه .

ولم يفوت حكام الاردن الفرصة لتعميق هذا الفرز واثبات اهمية دورهم بالنسبة للعراق والسعودية ودول الخليج في وقت اتخذت فيه منظمة التحرير الفلسطينية موقفا محايدا من الحرب وساعيا من اجل الوساطة لوقفها ولحل الخلاف .

وتشير التقارير الصحفية الى ان حكام الاردن اضحوا اقل اهتماما باعمال اللجنة الفلسطينية الاردنية المشتركة واكثر اطمئنانا الى ان اموال دعم الصمود ، وهي في الاساس من السعودية والعراق ودول الخليج ، ستظل تقدم لهم حتى بدون التعاون مع منظمة التحرير .

ومثلما اصبح امرا واقعا اسقاط شرط المشاركة الفلسطينية لتقديم اموال الدعم للاردن كذلك هناك من يتوقع في عمان اسقاط قرار مؤتمر الرباط حول وحدانية التمثيل الفلسطيني في هيئة منظمة التحرير وبغض النظر عما اذا كان ذلك سيقال بصراحة ام لا

فان هناك من يمني النفس ، في حالة عقد مؤتمر القمة او بدون ذلك للحصول على تفويض عربي للاردن للتفاوض باسم الفلسطينيين . وهناك الان من يعبرون الجسور مثل ايام زمان . بينما اخرون لا يستطيعون العبور خارج عتبات اماكن اقامتهم بالامر او بسبب غياب الاقدام .

ولكن الحسابات التي تغفل دور الشعوب العربية ودور الحركة الثورية في عالمنا الكبير كانت وستظل دائما مصدر خيبة امل لاصحابها .

التوزيع الأميركي للمرايب الاستراتيجية
تكفل لاسرائيل المرتبة الاولى

لمجلة الاعلام الاسرائيلية في المرحلة الحالية الاستراتيجي بين المتحدة الاميركية واسرائيل على الاساس ان تتناول عسكرية في الشرق الاوسط بدل "الاختيارات الاميركية، وكان ارتباطات واشنطن مصر والسعودية والكويت يعدد من دول الخليج في طليعته ايضا التقليل اسرائيل الاستراتيجية المتحدة.

هذه الاوساط لاثبات على عدة ظواهر مثل وقت سابق عن وقف استراتيجي بين اسرائيل واشنطن "بالامتناع" على قرار ادانة مجلس الامن بدل الملف "الفيتو" وغيرها يرى جودمان المراسل في واشنطن "جيروزاليم بوست" الاميركية في على الشكل التالي : مجال للشك ، انه بعد الرئيس لافغانستان ، مع منطقة الخليج ، الولايات المتحدة عسكرى، ان الاعتراف بأهمية اسرائيل عسكرى قد يعوقل تنمية في العالم العربي ، مركز الصراع قد الاوسط الى منطقة

من مصلحة الولايات في هذه المرحلة ، على مظهر جانبي الولايات المتحدة على بمسألة الاختيار حتى وان كنا الحق قبل ان نذهب للفراش" هذا ما قاله احد الموظفين في مكتب مناحيم بيغن عن العلاقة مع اميركا . (جيروزاليم بوست ، الجمعة ، ١٠ اكتوبر ١٩٨٠)

ويعدد جودمان بعد ذلك اوجه التعاون الاستراتيجي بين البلدين فيقول : "صحيح ان الولايات المتحدة تسعى لتدعيم مركزها في العالم العربي ، ولكن ليست لدينا اية براهين ثابتة انها تفعل ذلك على حساب اسرائيل" ومعا يثبت ذلك انه :

- "بين سنوات ١٩٤٨ و ١٩٨٠ حولت الادارة الاميركية الينا حوالي ١٥٫٦ بليون دولار على شكل مساعدات ، وهذا المبلغ لا يشمل مصاريف قواعد النقب التي تقدر بـ ٢٠٠ مليون دولار ، وهي الان بصدد الطلب من مجلس الشيوخ ان يوافق على ١٫٩٨٥ بليون دولار وهي المساعدات المقررة للسنة المالية القادمة".

- "لا يزال الضباط الاسرائيليون يلعبون دورهم في البرامج المتبادلة مع واشنطن ، والابحاث المشتركة ومشاريع التطوير . وهنالك تعاون مستمر في مجالات التجسس وتبادل المعلومات ، وعلى الصعيد التكنولوجي".

"لكن عدم اتخاذ هذه العلاقة شكل اجراء المناورات المشتركة بين الجانبين ، وعدم الاستجابة الاميركية لطلب مناحيم بيغن لاقامة قواعد عسكرية في اسرائيل ، او عقد "حلف دفاعي" لا تدلل في الواقع على ان هنالك تحول في الدعم العسكرى الاميركي لاسرائيل . والسؤال الذى يطرح نفسه هنا "هل العلاقات الاميركية - الاسرائيلية ، يجب ان تكون بالضرورة نسخة طبق الاصل عن العلاقات الاميركية - المصرية ، او الاميركية - السعودية؟؟ وهل صحيح ان مرابطة الطائرات الاميركية في هذه الدول تاتي على حساب اسرائيل؟؟

"ان الاجابة على هذه الاسئلة تعتمد في الاساس على التحليل الواضح لما يمكن ان تقدمه اسرائيل للولايات المتحدة، ولما تحتاجه اسرائيل من اجل الدفاع عن نفسها" (الصحيح من اجل تثبيت سيطرتها)

"تستطيع اسرائيل ان تقدم لواشنطن ، مالا يمكن ان تتوقع تقديمه من باقي حليفاتها في المنطقة ، مثل القوات المدربة جيدا والمجربة في المعارك ، والاساس العسكرى الغربي المتطور الذى تستطيع الاعتماد عليه عند الحاجة فورا ، كما ان لدى اسرائيل احدث القواعد الجوية في العالم ، وهي قادرة على تسليح وصيانة طائرات (ف ١٥ و ف ١٦) التي تعتبر القوة الاساسية في سلاح الجو الاميركي ، وتستطيع اسرائيل ايضا بما لديها من قدرة تكنولوجية ، ان تزود الغرب بالمعلومات التكتيكية والاستراتيجية عن احداث المنطقة"

"كل هذه الامكانيات وغيرها تستطيع ان تضعها اسرائيل في خدمة الولايات المتحدة [illegible] في اى مواجهة لها في الشرق الاوسط او في شمال منطقة الخليج".

"وحقيقة ان مصر والسعودية والصومال وكينيا ١٠٠٠الخ ، لا تملك مثل هذه المقومات والامكانيات ، يفسر اضطرار واشنطن لارسال فنييها ومستشاريها العسكريين الى هذه الدول ، كما فعلت مؤخرا بالنسبة للعربية السعودية".

ويضيف جودمان : "ستمر سنوات وربما عقود قبل ان تستطيع مصر ان تمنح الولايات المتحدة ما تستطيع منحه اسرائيل الان . ذلك ان العلاقات الاستراتيجية بينهما لا تزال في بدايتها ، ولم ترس على اسس ثابتة . بامكان مصر ان تقدم تسهيلات ارضية للقوات الاميركية التي ستشترك في الصراع ، لكنها لا تستطيع توفير التكنولوجيا الاميركية والقوة البشرية اللازمة لقيادتها ، وتوفير المعلومات التجسسية المطلوبة لتنفيذ اهدافها مما يعني ان هذه التسهيلات الارضية او القواعد ليست في الواقع سوى بقع عاقرة من الاراضي لا اكثر".

"وعلى هذا الاساس لم يكن ارسال الطائرات الاميركية لمصر للقيام بسلسلة من المناورات المشتركة ، مفاجئا بالنسبة لنا . فقد كان من المعروف ان المصريين قد واجهوا مشاكل جمة في قيادة هذه الطائرات وصيانتها لدرجة ان عددا منها بقي عاجزا على الارض . وعددا اخر تحطم في الجو . لذلك فان ارسال الطائرات الاميركية مع طواقمها لمصر لا يحمل في ثناياه اى تفضيل لاهمية التعاون معها على حساب التعاون مع اسرائيل ، بل انه محاولة يائسة لارساء حجر الاساس للتعاون النامي بينهما".

ويرسم مراسل الجيروزاليم بوست بناء على هذه المعطيات ، حدا فاصلا بين ابقاء التفاهم الاميركي - الاسرائيلي سريا ، وبين الاعتراف الاميركي العلني باهمية اسرائيل الاستراتيجية ، ثم يضيف : "اضحى من المعروف للجميع انه بين سنة ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، ارتدى التفاهم الاميركي - الاسرائيلي ، طابع امكانية قيام اسرائيل بالتدخل العسكرى لصالح الولايات المتحدة ، لمنع اى تغيير في الوضع القائم ، ومثال ذلك قيامها بالاستعدادات الحربية في ايلول ١٩٧٠ بناء على اوامر واشنطن ، لردع الهجوم السورى على الاردن في تلك الفترة . وفي الوقت الحاضر تقع عليها مهمة منع سيطرة سوريا على لبنان ، وهي تفعل هذا لمصلحة واشنطن ايضا ، كما اننا يمكن ان نفهم دور اسرائيل الان ، في حالة تعرض مصر لعدوان خارجي من ليبيا ، وبكلمات اخرى - يؤكد جودمان - ان خدمة اسرائيل للمصالح الاميركية الحيوية ، لا يتاتى فقط من دورها اثناء اندلاع حرب شاملة في المنطقة ، بل من خلال وجودها كعامل رادع في الظروف الراهنة ايضا .

"وبالاضافة الى هذا هنالك عوامل اخرى غير مرئية للتعاون الاميركي - الاسرائيلي ، فحتى عام ١٩٧٣ ، نفذت تل أبيب نشاطات متعددة في اكثر من ١٠٠ دولة من دول العالم الثالث وفي معظم الحالات عملت كخادم للمصالح الغربية في هذه الدول".

"ان مجالات عمالة اسرائيل للمصالح الاميركية متعددة جدا ، ونلاحظها في التعاون الذرى والعسكرى مع جمهورية جنوب افريقيا (العنصرية) وفي الاختبارات القتالية للاسلحة الاميركية ، وتكفي الاشارة الى ان اول تجربة عملية لطائرات ف ١٥ الاميركية قد نفذت خلال المعارك الجوية مع الطيران السورى وفي جنوب لبنان . والشيء نفسه ينطبق على استخدام نظام هوكي الاميركي لتنسيق العمليات الجوية ، ان تحويل نتائج هذه التجارب للولايات المتحدة قد افادها في تطوير اسلحتها التقليدية وزاد من قدرتها في مواجهة الاسلحة التقليدية السوفييتية .

ويلخص جودمان اقواله السابقة في السؤال التالي : هل يمكن ان يستعاض عن المحور الاميركي - الاسرائيلي باى محور بديل؟ وعما اذا كان هذا هو هدف واشنطن؟

ويجيب : ان عدم استقرار الانظمة العربية المعنية ، وتخلفها التكنولوجي ، يلغي مثل هذا الاحتمال ، الا ان هذا الواقع لا ينفي ان تطور العلاقات الاميركية مع العالم العربي ، سيضفي مزيدا من السرية على العلاقات الاميركية - الاسرائيلية ولكنه لن يقلل من اهميتها . وهذا يعني ان المعضلة التي تواجه واضعي السياسة الاميركيين والاسرائيليين تتمثل في كيفية الموازنة بين تمتين العلاقات بينهما وتدعيم قدرة اسرائيل على الردع والانتصار السريع في اى مواجهة عسكرية مع جيرانها ، وبين المحافظة على سرية هذه العلاقة بحيث لا تعرض مصالح واشنطن في العالم العربي للخطر .

ان مصلحة الولايات المتحدة واسرائيل تكمن في النجاح على بلورة هذه المعادلة .